

سلسلة المحابة الأخيار

# أبو ذر الغفاري





إِنَّهُ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ الْحَارَّةِ اللَّاهِبَةِ الَّتِي اعْتَادَ النَّاسُ عَلَيْهَا  
فِي شِبْهِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ.

كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِالنُّبُوَّةِ مُنْذُ  
فَتْرَةٍ يَسِيرَةٍ، وَمَا زَالَتْ دَعْوَتُهُ فِي بَدَايَتِهَا.

بَعِيداً عَنْ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ قَبِيلَةِ غِفَارٍ  
قَاصِداً الْمَكَانَ الَّذِي انْتَصَبَتْ فِيهِ تَمَاثِيلُ الْقَوْمِ وَأَصْنَائُهُمْ،  
لَأَدَاءِ الصَّلَاةِ هُنَاكَ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى صَنَمِ اسْمُهُ (مَنَاةُ)، حَامِلاً  
وِعَاءً مَمْلُوءاً بِاللَّبَنِ الطَّازِجِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَسْقِيَ مِنْهُ إِلَهَتَهُ  
الْمُقَدَّسَةَ! سُرَّعَانَ مَا أَنْهَى الرَّجُلُ صَلَاتَهُ، وَرَاحَ يُتِمِّتُ بِبَعْضِ  
الْأَدْعِيَةِ، طَالِباً مِنْ صَنَمِهِ الْحَجَرِيِّ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ قِضَاءَ حَوَائِجِهِ!  
بَعْدَ ذَلِكَ انْصَرَفَ تَارِكاً لِتِمَالِهِ وَعِاءِ اللَّبَنِ كِي يَشْرَبَ مِنْهُ  
هَنِيئاً! لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُقْتِنِعاً بِأَنَّ صَنَمَهُ ذَاكَ سَيَشْرَبُ اللَّبَنَ،  
لِذَا وَقَفَ فِي مَكَانٍ غَيْرِ بَعِيدٍ يَتَأَمَّلُ وَيُفَكِّرُ.

فَجَاءَ حَدَثٌ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُسْبَانِ!



إِذِ اقْتَرَبَ ثَعْلَبٌ بَرِيٌّ اسْتَدْرَجَتْهُ رَائِحَةُ اللَّبَنِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ،  
ثُمَّ هَجَمَ عَلَى وِعَاءِ اللَّبَنِ، وَشَرِبَ كُلَّ مَا فِيهِ!

لَمْ يَنْتَهُ الْمَشْهُدُ بِذَلِكَ، بَلْ تَوَجَّ الثَّعْلَبُ فِعْلَتَهُ تِلْكَ بِأَنْ بَالَ  
عَلَى الصَّنَمِ، ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَمَسَّ الْإِلَهَةَ بِسُوءٍ!  
تَعَجَّبَ الرَّجُلُ مِمَّا رَأَاهُ! وَفَعَرَتِ الدَّهْشَةُ فَاهُ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُ  
الثَّعْلَبَ يَمْضِي مُخْتَالاً مَزْهُوًّا دُونَ أَنْ تُحَرِّكَ الْإِلَهَةُ لَهُ سَاكِنًا،  
بَعْدَ أَنْ هَزَأَ بِفِعْلَتِهِ الشَّنْعَاءِ مِنْ قُدْسِيَّتِهَا!

" يَا لِلْعَجَبِ! ". قَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ! ثُمَّ رَاحَ يُفَكِّرُ مُحْتَارًا:  
أَيْنَ كَانَتْ عَظَمَةُ الْإِلَهَةِ؟ بَلْ أَيْنَ قِوَاهَا؟ أَيْعَقَلُ أَنْ أَعْتَمِدَ  
عَلَيْهَا فِي قَضَاءِ حَوَائِجِي فِيمَا هِيَ تَعَجْزُ عَنْ مُجَابَهَةِ حَيَوَانٍ  
ضَعِيفٍ؟ أَيْعَقَلُ أَنْ يَكُونَ الْحَيَوَانُ هَذَا أَعْقَلَ مِنَ الْبَشَرِ فِي  
فَهْمِ حَقِيقَةِ الْإِلَهَةِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ؟



لَمْ يَلْبَثِ الرَّجُلُ آخِيراً أَنْ قَالَ: "مَاعَسَى أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الْمَعْبُودِ  
الَّذِي أُعْبِدُهُ مِنْ قُدْرَةٍ؟! وَهُوَ حَجَرٌ جَامِدٌ لَا يَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَ  
يَدَيْهِ لِيَرُدَّ عَنْهُ عَادِيَّةَ كَلْبٍ مِنْ كِلَابِ الْبَرِّ أَمْطَرَهُ بِبَوْلِهِ!".  
ثُمَّ هَتَفَ بِبَعْضِ آيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي تِلْكَ  
الْأَيَّامِ، وَقَالَ:

أَرْبُ يَبُولُ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ؟ لَقَدْ ذَلَّ مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ  
فَلَوْ كَانَ رَبًّا كَانَ يَمْنَعُ نَفْسَهُ وَلَا خَيْرَ فِي رَبٍّ نَأَتْهُ الْمَطَالِبُ  
بَرِئْتُ مِنَ الْأَصْنَامِ فَالْكُلُّ بَاطِلٌ وَأَمَنْتُ بِاللَّهِ الَّذِي هُوَ غَالِبُ  
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ انْزَا حَتْ عَنْ قَلْبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ كُلُّ الْغَشَاوَاتِ،  
وَتَبَرَّأَ مِنْ مُنَاةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ، وَتَوَجَّهَ بِرُوحِهِ  
وَقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ الْوَاحِدِ الَّذِي خَلَقَهَا وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ .  
كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ هُوَ جُنْدَبُ بْنُ جُنَادَةَ، أُمُّهُ رَمْلَةٌ وَهُوَ أَبُو ذَرٍّ  
الْغَفَارِيُّ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ الْمَعْرُوفُ!







وبدأت حياة أبي ذرٍّ الجديدة في عالم النور والضياء. وراح ينشرُ قناعاته بين المحيطين به من بني قومه ، بادئاً بأقرب الناس إليه: أمه رملَة وأخيه أنيس، مستشهداً بالموقف الذي تعرَّضَ له مع الثعلب، وغيره من المواقف التي فتحت عينيه على مزيدٍ من معرفة الله وتوحيده، حتى لُقِبَ بالمتألّه.

وكادَ أقرباء أبي ذرٍّ يقتنعون بآرائه، فيما انصرفَ هو في عالمه الجديد إلى إلهه بعطشٍ روحيٍّ قويٍّ، مُتوجِّهاً إلى حيث يُوجِّهه حدسه ونورُ قلبه، ويؤدي الصلاة كيفما كان، في انتظار أن يلتقي بالنبِيِّ الذي أخبرت عنه الكتبُ، فيتعلَّم ويُسَلِّم.

وفيما أبو ذرٍّ على حاله من اشتياقٍ إلى اللقاءِ **بِنَبِيِّ اللَّهِ** المنتظر، أقبلَ رَجُلٌ من قومه حامِلاً إليه البشرى، وهو يقول:

"يا أبا ذرٍّ! إنَّ رجلاً بِمَكَّةَ يقولُ بِمَقَالَتِكَ، يزعمُ أَنَّهُ نبيٌّ ويدعو الناسَ إلى عبادةِ اللَّهِ."

هتفتِ الفرحةُ في أعماقِ أبي ذرٍّ، تُطالبُهُ بأنَّ يُعجِّلَ في السُّؤالِ عن حقيقةِ الأمرِ، ويتأكَّدَ من نُبُوَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ عَنْهُ في الحالِ.



فَأَسْرَعَ يَحْتَ الْخُطَا إِلَى أَخِيهِ أَنَيْسٍ، طَالِباً مِنْهُ أَنْ يُسْرَعَ إِلَى  
مَكَّةَ مِنْ فَوْرِهِ وَيَسْتَطْلِعَ حَقِيقَةَ مَا يُشَاعُ. فَمَا لَبِثَ أَنْ عَادَ إِلَيْهِ  
بِالْبُشْرَى، قَائِلاً لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْفُضَ عَنْ ثِيَابِهِ غُبَارَ الطَّرِيقِ: "لَقَدْ  
رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ وَالْبَغْيِ وَالْمُنْكَرِ  
وَالْعُدْوَانِ، وَيَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ،  
وَيَسْخَرُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَتِهَا!".

طَارَتْ الْفَرَحَةُ بِأَبِي ذَرٍّ تَحْمِلُهُ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، يُفَشِّشُ فِي  
وُجُوهِ النَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَطَافَ فِي الشُّوَارِعِ كُلِّهَا، وَتَصَفَّحَ  
كُلَّ الْوُجُوهِ الَّتِي التَّقَاهَا دُونَ أَنْ يَعْثُرَ عَلَى غَايَتِهِ بَيْنَهُمْ.  
وَلَمْ يَتَوَقَّفْ أَبُو ذَرٍّ عَنْ تَجَوُّلِهِ إِلَّا حِينَ أَمَرَهُ الظَّلَامُ الْمُقْبِلُ مَعَ  
خُطُوطِ الْغَسَقِ الْوَرْدِيَّةِ، وَرَأَى الْكَعْبَةَ الشَّرِيفَةَ خَالِيَةً مِنَ النَّاسِ،  
فَتَمَلَّكَتِ الْحَيْرَةَ مِنْ نَفْسِهِ، وَازْدَادَتْ نَسْطَوْتُهَا حِينَ رَأَى شَابًّا  
مُقْبِلًا لِيَطُوفَ فِي الْكَعْبَةِ وَحِيدًا!

مَرَّ الشَّابُّ بِأَبِي ذَرٍّ فَعَرَفَهُ غَرِيبًا عَنْ مَكَّةَ، وَقَالَ لَهُ: "مَنِ الرَّجُلُ؟".  
فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: "مِنْ بَنِي غِفَارٍ!". فَدَعَاهُ الشَّابُّ إِلَى بَيْتِهِ، حَيْثُ  
مَضَى أَبُو ذَرٍّ مَعَهُ دُونَ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ!



وَتَكَرَّرَ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ بَيْنَ أَبِي ذَرٍّ وَالشَّابِّ فِي الْيَوْمِ التَّالِي. كَانَ ذَلِكَ الشَّابُّ هُوَ **عَلِيًّا بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)**، الَّذِي التَّقَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أَيْضاً وَقَرَّرَ أَنْ يَسْأَلَهُ عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ** الَّذِي وَصَلَتْ أَخْبَارُهُ إِلَيْهِ، فَوَعَدَهُ بِأَنْ يَضْحَبَهُ إِلَيْهِ إِنْ عَاهَدَهُ عَلَى كَتْمَانِ أَمْرِهِ، إِذْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ سَرِيَّةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ. فَاسْرَعَ أَبُو ذَرٍّ يُسَابِقُ الْفَرَحَةَ إِلَى لِقَاءِ النَّبِيِّ **ﷺ**، حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، يَتَأَمَّلُ ضِيَاءَ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَيَهْتِفُ مِنْ أَعْمَاقِ فُؤَادِهِ: "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!".

بَذَلِكَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ أَوَّلَ مَنْ حَيَّا رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ.

ظَلَّ أَبُو ذَرٍّ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ **ﷺ** يَسْتَمِعُ إِلَى قَوْلِهِ، حَتَّى امْتَلَأَتْ نَفْسُهُ بِالْإِطْمِئْنَانِ الْكَامِلِ، وَوَجَدَ مَا كَانَ يَبْحَثُ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَيَقِينٍ.

ثُمَّ شَهِدَ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. وَقَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ إِلَى قَبِيلَتِهِ، قَالَ لِلنَّبِيِّ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَأْمُرُنِي؟". فَقَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: "أَمْرُكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ حَتَّى يَبْلُغَكَ أَمْرِي".





فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَصْرُخَ  
بِالإِسْلَامِ فِي الْمَسْجِدِ!".

قَالَ أَبُو ذَرٍّ ذَلِكَ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَسْجِدِ يَتَحَدَّى مُشْرِكِي  
قُرَيْشٍ، مُنَادِيًا فِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ!". وَبِذَلِكَ  
كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَابِعَ أَوْ خَامِسَ رَجُلٍ يُعْلِنُ إِسْلَامَهُ فِي التَّارِيخِ.  
فَهَبَّ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ يَتَصَايَحُونَ: "لَقَدْ جَنَّ الرَّجُلُ!". وَانْهَالُوا  
عَلَيْهِ يَضْرِبُونَهُ حَتَّى أَغْمِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَلَمِ!

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَقْبَلَ الْعَبَّاسُ عُمَ النَّبِيِّ ﷺ، وَوَجَدَ الرَّجُلَ  
عَلَى تِلْكَ الْحَالِ بَيْنَ أَيْدِي الْمُشْرِكِينَ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ وَانْحَنَى  
يَرْفَعُهُ حَتَّى خَلَصَهُ مِنْهُمْ، وَرَاحَ يَصِيحُ بِالنَّاسِ مُحَذِّرًا: "يَا  
مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ طَرِيقَكُمْ فِي تِجَارَتِكُمْ عَلَى قَبِيلَةِ غِفَارٍ،  
وَإِنَّهُمْ سَيَقْطَعُونَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُمْ إِنْ أَصِبتُمُوهُ بِمَكْرُوهِ".

لَكِنَّ أَبَا ذَرٍّ تَحَامَلَ عَلَى آلَامِهِ، وَتَوَعَّدَهُمْ مُهَدِّدًا بِأَنْ يَنْتَقِمَ  
مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ كُلَّمَا مَرَّتْ تِجَارَتُهُمْ عَلَى قَبِيلَةِ غِفَارٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ  
لِتُسْلِمَ مَعَهُ أُمُّهُ رَمْلَةً، وَأَخُوهُ أُنَيْسٌ.



ليس هذا فحسب، بل إنه راح يُخبرُ أبناءَ قبيلته عن قصّته  
في لقاءِ النَّبِيِّ ﷺ حتّى أسلمَ نصفُهم، فيما أسلمَ الباقيون  
بعدَ هجرةِ النَّبِيِّ ﷺ إلى المدينة المنورة!

وما نسيَ أبو ذرٌّ أن يُنفذَ تهديدهُ لمُشركي قُرَيش. إذ أقامَ  
بعسفانَ في انتظارِ مُرورِ قوافلِهِم التي كانَ لا بُدَّ لها أن تمرَّ  
من هُناكَ في طريقها إلى الشام، كي يلزِمَ النَّاسَ بالنُّطقِ  
بالشَّهادتين.

وظلَّ على عَمَلِهِ هذا حتّى هاجرَ النَّبِيُّ ﷺ إلى المدينة  
المنورة، وتحوَّلَ أبو ذرٌّ إلى واحدٍ من أقربِ أصحابِ  
النَّبِيِّ ﷺ إليه. فنالَ لِفَضائِلِ نَفْسِهِ مكانةً رفيعةً في قلبِ  
النَّبِيِّ ﷺ الذي كانَ يبتدئُهُ إذا حضرَ، ويتفقّدُهُ إذا غابَ،  
وكانَ يُجيبُهُ عن أسئلتِهِ التي لا تنتهي، حتّى وعى أبو ذرٌّ  
علماً لم يتيسَّرَ لِسِوَاهُ من البشرِ، وقد حفظَ العلمَ في قلبِهِ،  
ولم يُحدِّثِ النَّاسَ إلّا ببعضِهِ، لأنَّ عقولَهُم لا تحتمِلُهُ.



وقد امتَحَنَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ إِيْمَانَ أَبِي ذَرٍّ فِي أَكْثَرِ مِنْ غَزْوَةٍ خَاضَهَا  
النَّبِيُّ ﷺ، فَكَانَ مِنْ أَشْجَعِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقِتَالِ، فَلَازَمَ  
النَّبِيَّ ﷺ، وَلَمْ يُضَيِّعْ لِحِظَةً يُمَكِّنُهُ فِيهَا أَنْ يَرْتَشِفَ قَطْرَةَ عِلْمٍ  
مِنْ عُلُومِ النُّبُوَّةِ، وَلَمْ يَتَوَانَ عَنِ الْقِيَامِ بِأَيَّةِ مَسْئُولِيَّةٍ يُعْهَدُ بِهَا إِلَيْهِ  
فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ، مَهْمَا كَانَتْ صَعْبَةً أَوْ شَاقَّةً.

كَانَ أَهْمُهَا حِينَ أَوْكَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرَ تَعْلِيمِ قَوْمِهِ لَمَّا وَجَدَهُ  
فِيهِ مِنْ مِيزَاتٍ عَقْلِيَّةٍ وَاعِيَةٍ، وَقُدْرَةٍ عَلَى تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ،  
وَشَرْحِ الْأَحَادِيثِ وَالْقُرْآنِ، وَتَفْقِيهِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ؛ وَكَانَ نَجَاحُهُ  
عَظِيمًا وَإِنْجَازُهُ هَامًّا بِإِسْلَامِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى يَدَيْهِ.  
هَذَا الْإِيْمَانُ الصَّادِقُ دَفَعَ النَّبِيَّ ﷺ لِيَشْهَدَ بِهِ بِقَوْلِهِ: "مَا أَظَلَّتِ  
الْخَضِرَاءُ، وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ".  
وَكَانَتْ لَهُ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِيهِ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ:  
"يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ، وَيَشْهَدُهُ عِصَابَةٌ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ".

وَقَالَ ﷺ: "أَبُو ذَرٍّ فِي أُمَّتِي عَلَى زُهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ". وَ: "أَبُو  
ذَرٍّ صَدِيقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ".





إِنَّ مَزَايَا أَبِي ذَرٍّ وَشَجَاعَتَهُ الْفَذَّةَ، أَهْلَتُهُ لِلْوُقُوفِ فِي وَجْهِهِ مِنْ حَرَفٍ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَشَهِدَ زوراً وَبَاطِلاً لِإِبْعَادِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْخِلَافَةِ، إِضَافَةً لِاتِّخَاذِهِ مَوْقِفَ الثَّائِرِ عَلَى أَوْلَيْكَ الَّذِينَ جَعَلُوا مِنْ خِلَافَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَسِيلَةً لِلظُّلْمِ وَالْإِسْتِبْدَادِ وَأَكَلَ حَقُوقَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

فَلَمْ يَكُنْ بَغْرِيْبٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْمَعُوهُ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِبَابِ الْكَعْبَةِ يَخْطُبُ فِيهِمْ قَائِلاً: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " إِنَّمَا مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ. أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟".

وَهَاهُوَ يُخَبِّرُ النَّاسَ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَى سَمَاعِهِ بَعْدَ أَنْ جَنَحَ بِهِمُ الزَّمَانُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، قَائِلاً بِنَبْرَتِهِ الصَّادِقَةِ الْوَاثِقَةِ: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي، وَيَمُوتَ مَمَاتِي، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنِ الَّتِي غَرَسَهَا رَبِّي، فَلْيَتَوَلَّ عَلَيَّأً بَعْدِي، وَلِيَقْتَدِ بِالْأَيْمَةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّهُمْ عَتَرَتِي، خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ لَحْمِي وَدَمِي، وَأَتَاهُمْ فَهْمِي وَعِلْمِي، وَيَلُ لِّلْمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتِي، لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ شَفَاعَتِي. "



هكذا عاش أبو ذرّ الغفاري (رض)، عاش بين الناس مُعلِّماً ومُفَقِّهاً، ولطالما سَمِعُوهُ يَقُولُ لَهُمْ: "أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ شَفِيقٌ، صَلُّوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لَوْحِشَةِ الْقُبُورِ، صُومُوا فِي الدُّنْيَا لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ، تَصَدَّقُوا مَخَافَةَ يَوْمٍ عَسِيرٍ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ شَفِيقٌ".

هذا السُّلُوكُ الَّذِي صَمَّمَهُ أَبُو ذَرٍّ أَنْ يَلْتَزِمَهُ بَيْنَ النَّاسِ، أَزْعَجَ أَهْلَ الْحُكْمِ وَالسُّلْطَةِ، الَّذِينَ رَأَوْا النَّاسَ يَلْتَفُونَ حَوْلَ أَبِي ذَرٍّ، وَيُصَدِّقُونَ كَلَامَهُ لَمَّا يَعْرِفُونَهُ عَنْهُ مِنْ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْبِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. لذا قَرَّرُوا التَّخَلُّصَ مِنْهُ!

نعم، إِذْ حَدَّثَ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ مَا لَمْ يَحْدُثْ مِنْ قَبْلُ فِي تَبْدِيدِ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَصَرْفِهَا عَلَى أَقْرَبَاءِ الْخُلَيْفَةِ وَخَاصَّتِهِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، إِضَافَةً إِلَى التَّضْيِيقِ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِينَ أَنْكَرُوا تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَرَفَضُوا السُّكُوتَ عَنْهَا. وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ شَجَاعَةً فِي إِعْلَانِ اسْتِنكَارِهِ ذَاكَ عَلَى الْمَلَأِ أَبَا ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ (رض).



إذ إنه عَلِمَ مرَّةً أَنَّ عُثْمَانَ أعطى مروانَ بنَ الحَكَمِ وغيره  
بيوتَ الأموالِ، واختَصَّ زيداَ بنَ ثابتٍ بشيءٍ منها، فراحَ  
أبو ذرٍّ يصيحُ في الطُّرُقَاتِ فاضِحاً أولئك القومِ بقوله:  
"بَشِّرِ الكَافِرِينَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". ثُمَّ راحَ يَتْلُو آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ  
الكَرِيمِ تُهَدِّدُ وَتَتَوَعَّدُ مَنْ يَكْنِزُ الْمَالَ بِالْعَذَابِ.

فأرسلَ إليه عُثْمَانُ ينهاهُ عَمَّا يَفْعَلُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فأجابَ:  
أَيْنَهَانِي عُثْمَانُ عَنْ قِرَاءَةِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى؟... فواللَّهِ لَئِنْ  
أَرْضَى اللَّهُ بِسَخَطِ عُثْمَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَخَيْرٌ لِي مِنْ أَنْ  
أُسَخِّطَ اللَّهَ بِرِضَا عُثْمَانَ!".

وَلَمَّا تَكَرَّرَتْ مَوَاقِفُ أَبِي ذَرٍّ الَّتِي بَدَأَتْ تُحَرِّكُ النَّاسَ،  
وَتُثِيرُهُمْ عَلَى الْحَاكِمِ، رَأَى عُثْمَانُ أَنْ يُبْعِدَهُ إِلَى الشَّامِ،  
حَيْثُ كَانَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَالِيًّا، يَعِيشُ الْجَاهِلِيَّةَ  
قَوْلًا وَفِعْلًا، وَلَا يَنْقُصُهُ إِلَّا أَنْ يَنْصُبَ أَوْثَانًا وَيَدْعُو إِلَى  
عِبَادَةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى!





وَهُنَاكَ كَانَتْ مَوَاقِفُ أَبِي ذَرٍّ أَشَدَّ قُوَّةً وَجُرْأَةً، فَرَاخَ بَنُو أُمَيَّةَ يُهَدِّدُونَهُ بِالْقَتْلِ، وَكَانَ جَوَابُهُ الشَّهِيرُ: "إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ تَهْدِدُونِي بِالْفَقْرِ وَالْقَتْلِ، وَلَبَطَنُ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ظَهْرِهَا، وَلَلْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى!".

تَضَاقَقَ مُعَاوِيَةُ كَثِيرًا مِنْ تَحْرِيطِ النَّاسِ عَلَى أَفْعَالِهِ الْمُنْكَرَةِ، وَمِنْ صَوْتِ أَبِي ذَرٍّ عَلَى بَابِ دَارِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَهْدُرُ قَائِلًا: "اللَّهُمَّ الْعَنِ الْأَمْرَيْنِ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ! اللَّهُمَّ الْعَنِ النَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْمُتَرَكِّبِينَ لَهُ!".

وَقَدْ تَأَثَّرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي الشَّامِ بِمَوَاقِفِ أَبِي ذَرٍّ، وَتَزَوَّدُوا مِنْ عِلْمِهِ مَا وَصَلَ بِهِمْ إِلَى مُوَالَاةِ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهُ انْتَشَرَ الْمَذْهَبُ الشَّيْعِيُّ فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ حَيْثُ يَعِيشُ أَحْفَادُ تَلَامِيذِهِ إِلَى الْيَوْمِ عَلَى حُبِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآلِ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ. فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عُثْمَانَ بَعْدَ أَنْ رَأَى بِأَمٍّ عَيْنِهِ التَّفَافَ النَّاسِ حَوْلَ أَبِي ذَرٍّ (رَضَ)، يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ الْخَطَرُ، وَيَنْقَلِبَ الْمُجْتَمَعُ كُلُّهُ عَلَى خِلَافَةِ عُثْمَانَ.

فَطَلَبَ عُثْمَانُ أَنْ يُؤْتَى بِهِ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ، فَأَرْسَلَ عَلَى بَعِيرٍ عَلَيْهِ قَتَبٌ يَابِسٌ حَتَّى تَسْلَخَ فَخِذَاهُ، وَكَادَ أَنْ يَمُوتَ فِي الطَّرِيقِ.

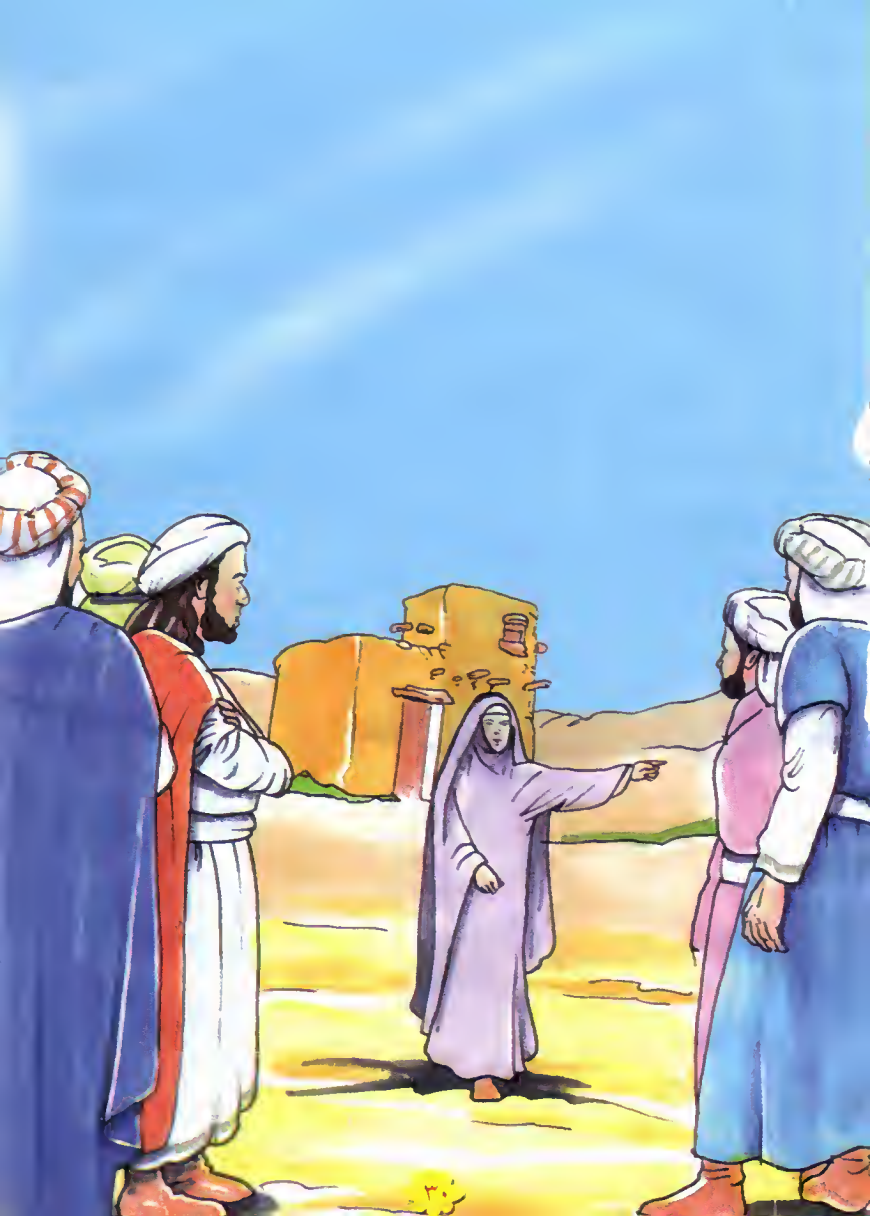


وَحِينَ وَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ جَرَّبَ عُثْمَانُ أَنْ يُحْسِنَ  
إِلَيْهِ عَلَيْهِ يَضْمَنُ بِذَلِكَ سُكُوتَهُ. وَلَكِنْ، كَيْفَ يُمَكِّنُ لِرَجُلٍ  
كَأَبِي ذَرٍّ أَنْ يَفْعَلَ؟

أَخِيرًا ضَاقَ عُثْمَانُ ذِرْعًا، وَقَرَّرَ أَنْ يَنْفِيَهُ مِنْ جَدِيدٍ. وَمَا إِنْ  
أَخْبَرَهُ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَرَّرَ أَنْ يَنْفِيَهُ إِلَيْهِ، حَتَّى تَهَلَّلَ وَاسْتَبَشَرَ. إِنَّهَا  
الرَّبْذَةُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ!

لَمْ يَكْتَفِ عُثْمَانُ بِذَلِكَ، بَلْ إِنَّهُ فَرَضَ عَلَى النَّاسِ أَلَّا يَخْرُجُوا  
لِوِدَاعِ أَبِي ذَرٍّ أَبَدًا عِقَابًا لَهُ، فَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى وِدَاعِهِ سِوَى  
الإمامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَوَلَدَيْهِ الإِمَامَيْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَقِيلِ بْنِ أَبِي  
طَالِبٍ، وَعَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ لَهُ الإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ سَاعَةَ وِدَاعِهِ: "سَتَعْلَمُ مَنْ  
الرَّابِحُ غَدًا، وَالْأَكْثَرُ حَسَدًا، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا  
عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا."



هُنَاكَ فِي الرِّبْدَةِ، الْأَرْضِ الْقَفَرَاءِ قَضَى أَبُو ذَرٍّ بَقِيَّةَ أَيَّامِهِ، حَتَّى دَنَتْ سَاعَةُ وَفَاتِهِ وَ مَامَعَهُ إِلَّا ابْنَتُهُ. وَقَدْ مَاتَتْ غُنِيْمَاتُهُ كُلُّهَا بَدَاءٍ أَصَابَهَا، فَأَصَابَهُ وَابْنَتُهُ الْجُوعُ. وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَمْ يَأْكُلَا فِيهَا شَيْئًا، هَوَى أَبُو ذَرٍّ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ الرُّوحَ إِلَى بَارِيهَا قَالَ لَا بُنْيَةَ: " يَا بُنْيَةُ لَا تَخَافِي! فَإِنِّي إِذَا مِتُّ جَاءَكَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مَنْ يَكْفِيكَ أَمْرِي."

ثُمَّ أَخْبَرَهَا بِمَا قَالَ لَهُ **النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ** عَنْ سَاعَةِ وَفَاتِهِ، وَأَوْصَاهَا أَنْ تَقْعُدَ بَعْدَ وَفَاتِهِ عَلَى طَرِيقِ الْعِرَاقِ كَيْ تَدُلَّ الرِّكْبَ عَلَيْهِ، وَتَقُولَ: " هَذَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ **رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ** قَدْ تُوفِّيَ."

وَبِالْفِعْلِ فَعَلَتْ ابْنَةُ أَبِي ذَرٍّ مَا أَمَرَهَا بِهِ أَبُوهَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ، وَحَمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا سَيَّنَالَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ وَالْكَرَامَةِ فِي تَوَلِّي أَمْرِ دَفْنِ أَبِي ذَرٍّ. ثُمَّ تَوَلَّوْا تَجْهِيْزَهُ وَتَغْسِيْلَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ، يَتَقَدَّمُهُمْ مَالِكُ الْأَشْتَرِ. وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ حَيَاةُ هَذَا الصَّاحِبِ الْكَرِيمِ مِنْ أَصْحَابِ **الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**. رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ

